الحرب على الحب

مشهور عبدالعزيز الصحفي

(كل نتوءات الطريق التي أضحكتنا سوياً تحولت لخناجر) سلمان العودة .

أيها القارىء أعد النظر في العبارة السابقة , ألا ترى بأن حروفها ما زالت ترتعش من فعل تلك " الضحكة الطاعنة ".

أما قائل العبارة فهو طائر له وقاره ومنزلته بين أطياف الطيور , كنت وما زلت مولعا به وأتتبع تغريداته وتقلباته من خلف القضبان , تأملت من خلاله عباداتي وأجمل عاداتي .

فعادته التحليق مع كل إشراقة , وأنا كعادتي أحلق خلفه , ولكنه اليوم على غير العادة , رفرف بجناحيه ليلاً وبدا هزيلاً تائهاً ضائعاً فاقداً لوعيه , يعوم في السماء ويحلق في البحر , ويغرد بمنطق فلسفي حنينه تنهيدات وحلمه آهات , إنه (منطق الحب).

وهذا المنطق كثيراً ما نتجاهله علناً خوفاً من نظرة الطيور المجاورة لنا , مما يؤثر على مكانة عشنا المتهالك داخلياً .

في بادىء الأمر نظهر الحب , وبعد مدة قصيرة نقدم " الحب بطريقة بشعة " , فتتثاقل أجنحتنا ويحلق بنا جمود مشاعرنا , فمهما حاول الطرف الآخر التخلص من هذا النقص , ومهما حاول إشباع حاسة الحب لديه بطرق عدة , منها تزيين العش بأعياد (ذكرى الزواج _ رأس السنة _ أسبوع الشجرة), فكل محاولات هذا المحب إلى المنفى , حتى فروخنا لا نحتويهم ولا نغرد لهم بما يحبون , فهمنا إطعامهم ثم إسكاتهم , فيبدؤون البحث عن هذا المنطق في العشش المجاورة ويعلنون حبهم الحضري المذموم ,

وعندما نشيخ ينطوي كل منا في طرف العش , ويعلن احتفاله (بعيد العزلة) المتفق عليه .

يا طير الوقار أنت خير من يعلم بأن منطق الحب لا يتعارض مع وقارك , وأنت خير من يعي قول الرسول عليه السلام في خديجة رضي الله عنها (إني رزقت حبها) .

كنا وما زلنا نجتمع حول شجرتك وشجرة من هم مثلك صباح مساء , لماذا لم تصدحوا وتفصحوا عن أسرار الحب ومكنوناته , لماذا يا طائر الوقار العاشق الصامت لم تحدثنا عنه إلا بعد رحيل من تحب , لماذا تطلق الآن وسما لمحبوبتك الراحلة #أكملي_الحكاية .

على الرغم من عتابي فأنا ما زلت أحلق خلفك , وأتتبع تلك الروح الراحلة معك , وأعلم

بأن روح المحبوب الراحل هي روح شريرة , " تطاردك في نفس الوقت الذي تعانقك فيه "!!.

وأعلم أيضًا بأن هذه الروح الراحلة , متى ما كنت قوياً أضعفتك , ومتى ما ضعفت نالت منك , ومتى ما نالت منك أعادتك للحياة لتتلذذ بتعذيبك .

سأستعين بعباره جنونية تختصر مالا يختصر, يقول ليو تولستوي : (عندما قالوا لي في المستشفى زوجتك ماتت , لم أعرف حينها ماذا أفعل , كنت سأذهب الى المنزل لأخبرها بما حصل , لكي تقول لي هي ماذا أفعل) .

نحن أمة تمارس أعلى مراتب الحب وهو(التدليه) المفقد للوعي ,ولكننا للأسف لا نبوح بذلك الحب , ونقوم بدفن حروفه حية .

سؤال لكل عاشق صامت مشكك :

كم مرة حاولت نظم أبيات مكسورة الوزن والخاطر , في حق من أحببت بعد رحيلهم ؟!

فلننه هذا الجمود , وسأنتهي أنا من تغريداتي البائسة , ثم نرحل سوياً كعشاق صامتين , ولنستبدل اللكمات بالكلمات, ونعترف بما يخالج صدورنا .

الحب : هو مناغاة بين طفلين , "واحتضار باسم" يطوف بين كهلين .

حرفي الحب (حاء) حنين حارق , و(باء) بريق باكي.

الحب أمسية شعرية أنت مسرحها أنت منبرها أنت قائدها ,أنت من تختار جمهورك فيها , قد يكون جمهورك صمت جائر , أو وردة محتشمة , قد يطول انتظارك , أو يزيد احتضارك , قد يكون جمهورك شيطان أنيق طوق رقبته بمعاص رقيقة ,

وقد يكتظ المسرح بجمهور عظيم يهتف لنفسه صمتا , هذا الجمهور هو (المحبوب) هو قلبك يجلس أمامك .

صديقي المحب , خذ أمسيتك الشعرية وكل أشلاءك وجمهورك العظيم (محبوبك) , حلق بين أغصان "مقهى المطر" وشاركنا وسم ابدأ الحكاية , أغرق محبوبك بهتان حروفك ثم أنقذه , لكن إياك أن تنجرف باتجاه "مقهى البؤساء" ومشاركتهم وسم أكملي الحكاية , فطائر الوقار يلعب دور النادل هناك , ويقدم لمرتادي مقهاه واد سحيق واحتضار , أما أنا كنادل في مقهى المطر أقدم لك الرحيق والانتصار , وقائمة بالنصائح لطيور الحب بالمجان , مكتوب فيها أيها الطائر أطلق حروفك تارة وقيدها تارة , لا تغلو في حبك ولا تنقص منه , لا تكثر من تغريداتك , اصنع للحب رونقاً , اجعل من الحب حالماً بك .

ملحوظة : يسمح للنادل بالتجسس , (فالتجسس على المحبين وقار للأذنين) .

ولا تقلقوا مني كنادل فأنا أنتمي إلى العذريين قبيلة (عذرة بن قضاعه) , من سمي الحب العذري نسبة لهم لصدق مشاعرهم , قوم إذا عشقوا ماتوا وماتت حروفهم معهم , ولست من أصحاب العقليات السخيفة التي تظهر حبها علناً , فالحب لا يعلن إلا سراً بين اثنين , لذلك سأقدم الحب للطيور كناصح فأهلا بكم .

ها هو صديقي طائر الحب الصامت ومحبوبه يتهامسان على خجل بين أغصان المقهى , فهما لم يعتادا على ذلك , فجأة ضمت المحبوبة جناحيها ثم غردت مستعينة بحروف غادة السمان :

ها أنا ضالة بدونك أهيم في الفضاء ؛

مثل بالون أفلتته يد طفل في العيد ونسيته !

ها أنت تلتصق بذاكرتي كصداع نصفي ؛

أرجوك اجبني هل أنا بلهاء ! أم أنا بلهاء !؟ ...

* بلهاء *: تحمل معنيين امرأة كاملة العقل وناقصة العقل .

تعجب صديقي العاشق الصامت وطال صمته كثيراً , اقتربت منهم مقدماً لهم رحيق الورد , وأهديته خفية حروف حب نظمتها له لكي يغرد بها , بسط صديقي جناحيه ثم رد على محبوبته قائلا :

ملهمتي !

يامن دنت الغيرة من عرشها ,

وانجلى القمر قبل الأوان لحسنها ,

يا سحر عيني , يا بلبلي الحيران , يا قصيدة الولهان,

اقتربي مني , وابتعدي مني

اندثري وانتثري .... وبالجرح احتفي ولا تكتفي ,

معذبتي : ما زال حبنا صادق

وما زال قلبي مسروقا , وأنت السارق !

ثم حلق العشاق بعيداً باتجاه الفرح , وقررت أن أغرد لكل من أعرف مستعيناً بمنطق طائري الموقر قبل آهاته وبعد معاناته .

قبل الوداع : يا طائر العشق الصامت أخبر من تحب بحبك , وإن لم تجرؤ غرد بهذه الحروف لمن تحب , أو احفظها في مذكرتك لتقرأها على روح من تحب .

أما أنا سأحلق الى ملاذي الرياض وبين جناحي كتاب حب , عنوانه (طوق الحمامة) للإمام الفقيه ابن حزم الأندلسي , سأهديه لصديقي قبل زواجه بأيام , كتبت له في مقدمة الكتاب , صديقي :

(دق الطبول , وأعلن " الحرب على الحب " !!

ارمِ من تحب بنصال همساتك , ثم أخرج من غمدك وردة ,

طوق أرض المعركة بقلبك , ثم أعلن خسارتك ,

فالخسارة قبل رحيل من تحب انتصار)

توقيعي : اعتنق الحب وانفجر باعتدال ...

مشهور عبدالعزيز الصحفي